وعد

سمير أحمد الشريف - الأردن

لم يكن يدرك عمق مكانتها في قلبه!

طحنته الحياة فانشغل عن أدق مشاعره....

هجمت عليه الفكرة.. عد المبلغ...

عشرة دنانير ونصف الدينار كل الذي استطاع توفيره في ثلاثة أشهر!

منذ اللحظة التي يتسلم فيها الراتب تبدأ

القسمة:

أجرة البيت،

بائع الخضار،

المواصلات...

وقائمة لا تنتهي من الضروريات،

"احمد ربك" إنك لن توفر شيئا، راتبك الذي يقف فألا تعيسا يأبى أن يتحرك، والأسعار تتقافز حوله وهو واجم.

هذا الوفر ضئيل، وأجرة البيت قديمة، ماذا لو كنت من المستأجرين الجدد!

مسكين "أبو صالح"، كيف يدبر أمره وأمر عياله؟

لكن أنسيت أن "أبا صالح" حسبها جيدا وعرف كيف يضحك على الحياة؟! ألم يشر عليك بالفكرة؟!

جولة مسائية على مجمع النفايات، عملية لا تحتاج مهارة أو رأس مال.

فقط أن تخفي أنفك وفمك بحجة الروائح الكريهة وتتخفى عن عيون معارفك، تنبش الحاويات وتجمع ما تستطيع بيعه في "سوق الجمعة".

رفضت بحزم، بقية الكبرياء التي تعلق في دماغك، أوصلتك إلى الحضيض.

تلهث في درجتك الثامنة، تقتات على دنانير راتب مصاب بفقر الدم.

فلسفتك التي لا تنسجم مع أخلاق العصر سبب كل أزماتك، مازلت تعاود الحنين لأيام الشباب كأنما الرومانسية لم تفارقك.

لا يهم...

المبلغ ضئيل.. نعم ... يمكنك أن تقترض من زميلك "نادر" وتحقق حلم زوجتك الصابرة.

تنهدت عندما أحضرتَ لها جهاز العرس وسألتها السبب، لاذت بابتسامة خجلى . ألححت عليها ... اعترفت أنها تتمنى أن تكون لديها قطعة ذهبية تكمل بها فرحتها.

وعدتها بدافع الشهامة التي نزلت عليك، ورغم كل هذه السنين لم تستطع أن تفي بالوعد، فمتى إذن؟

"أم العيال" صبرت وقاست وتستحق كل الخير، ربما نسيت القصة من أصلها ..لكن سيكون للمفاجأة عليها وقع الصاعقة.

* * *

مسكين زوجي، "ربنا معه" ..كان طموحا، يملؤه الأمل، كثيرا ما كان يحدثني في لحظة صفاء عن مشاريعه وخططه لكن " العتمة لا تأتي كما يريد الحرامي».

خفتت نبرة صوتها كأنما أدركت أن أحلامه لن تتحقق، السنوات تكر مسرعة، عيد زواجنا يباغتنا كل عام، دون أن أستطيع تقديم ربطة العنق التي تحسر على امتلاكها، لا بد من عمل شيء لكسر الروتين الذي يسحقنا، أليس من حقنا أن نحس بوجودنا ونعود لأنفسنا لحظات؟

ماذا فعلنا وماذا سنملك؟

كل إلى الزوال، لم يبق غير لحظة سعادة نعايشها، لا بد من عمل شيء ... زوجي يحب المفاجآت.

* * *

هل سببت لـ "نادر" إحراجا؟

ذاب الرجل في ملابسه خجلا وهو يقدم المبررات، لا يحتاج الأمر لتبرير . جميعنا نعيش ظروفا قاسية، و"نادر" صاحب "عيال" كيف لم أفكر مليا بهذا الأمر!؟

كيف طرقتُ بابه وأحرجته!؟

مهما يكن لن أنثني عن تنفيذ الفكرة، لابد أن أسعد زوجتي.

* * *

وقفت أمام خزانتها، كرت الذاكرة للوراء، تنهدت، غيمة حسرة أمطرت قلبها، تفرست ملابسها داخل الخزانة، أمسكت فستان زواجها، انتابتها مشاعر متضاربة .. هل تتراجع؟! أمسكت بالفستان ... أخفته في كيس وخطت للخارج على عجل!

* * *

لم يشأ أن يبحث عن زوجته، يعرف أنها ما غادرت إلا لحاجة، ربما زارت بعض الجارات... رمق ساعة يده، هاله تأخر الوقت. لم تعتد زوجته مثل هذا الغياب. لسعت قلبه وخزة خوف.

قلب كل الاحتمالات، غير واحد ظل يراوده.

تناهى إليه صوت خطوها من بعيد.

غامت عيناه ..وتأطرت في ناظريه صورة مكبرة لعروس بثوبها الأبيض ... تبتسم في جذل..!■